



الدكتور محمد بن سعد بن حسين

على

الرغم من جدة الكتابة عن الأدب تحت عنوان (الأدب الإسلامي) فإننا نجد الإقبال عليه منقطع النظير، وبخاصة أن هذا الكم الهائل من البحوث العلمية والأعمال الإبداعية لا يزيد عمر أقدمها على ربع قرن، إذ كانت بداية ذلك بعمل كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وذلك حينما أخذت بتكليف أبنائها جمع شعر الدعوة ثم نشرت ذلك الإنتاج في موسوعة أفادت الباحثين والدارسين.

تجربة ورؤية:

والكتاب ينقسم إلى قسمين: نظري وتطبيقي، فالنظري يجمع هذه الكلمات الثلاث (معالم التجربة الأدبية وأبعاد الرؤية الإسلامية ويا أدباء الإسلام انتبهوا) وأما التطبيقي فجمع أمره ثلاث عبارات أيضا (من أسرار البيان اللغوي في خطبة الوداع، غزوة الخندق بين شاعرين، وأبعاد التجربة الإسلامية في شعر السنهوتى) فكان القسم الثاني جواب عام عن سؤال أنشأه القسم الأول وهو إذا كان ما تدعو إليه حقاً فمن أين ينبع الأدب المسلم في أدبه؟

والمؤلف لا يريد القول بأن الاتجاه إلى القديم والاستمداد منه شكلاً ومضموناً المنزع الوحيد للأدب الإسلامي... وإنما أراد بذلك ترسيخ ثلاثة أصول:

أولها: أن في أدبنا القديم أصولاً متميزة صالحة لأن تستوحى، بل إنها أصلح ما يمكن أن تستوحى.

وثانيها: التدليل على أن أدب صدر الإسلام كان أدباً قوياً نشطاً ظاهر التفاعل مع الإسلام روحاً ومعنى متقاداً لمقتضياته في الشكل والمضمون.

وثالثها: أن الأدب المعاصر يستطيع أن يقدم أدباً إسلامياً نظيفاً مع استصحاب روح العصر ومقتضياته الفكرية.

وأول موضوع في هذا الكتاب هو (معالم التجربة الأدبية في ظل خصائص التصور الإسلامي) وهو عرض وتحليل لكتاب (خصائص التصور الإسلامي) للأستاذ سيد قطب رحمه الله، وهو كتاب قيس منه الشيخ محمد قطب شيئاً من فكره في كتابه (منهج الفن الإسلامي) والمؤلف يوافق الأستاذين في الدعوة إلى أن يكون الأدب الإسلامي صورة للتصور الإسلامي لله وللكون والحياة والإنسان، وهذه فكرة أخذها كثيرون من الباحثين وصوروها على غير وجهها، أو فهموها فهماً قاصراً، فنادوا بأن يكون الأدب مرادفاً لما سَمَّوه الأدب الديني في حين أن الأدب الإسلامي أوسع وأعم بمعنى أنه مثلما يكون معالجة للفكر الإسلامي وقضاياه يكون أيضاً معالجة لخصوصيات الإنسان وكل ما يطلب من الأدب في هذا ألا يخرج في أدبه على المفاهيم الإسلامية فإن خدم الإسلام فأدبه أدب جهاد، وإن لم يفعل شيئاً من ذلك، ولكنه لم يخرج فيه على المفاهيم الإسلامية فأدبه أدب إسلامي.

وبعد عمل كلية اللغة العربية تابعت الجهود في هذا الميدان حتى صار لدينا ثروة كبيرة من البحوث والأعمال الإبداعية في هذا المجال.

فهني إذن حركة طيبة تعد ظاهرة فكرية صحية ما في ذلك من شك، لكن هل ستستمر هذه الحماسة لهذا الموضوع الشريف؟

قد لا يكون في مقدور أحد الإجابة على مثل هذا السؤال بنعم أو لا.

غير أنه من المؤكد أن هذا العمل سيظل متصل الحلقات لا لكونه اتجاهها أدبياً شريفاً وحسب، بل ولأنه أيضاً عمل متصل بشوابتنا التي لا يمكن أن تُفترق في شيء منها في أي يوم من الأيام.

وطبعي أن تتفاوت هذه الأعمال جودة ورداءة وعلو وانخفاضاً، لكنها جميعاً تتمتع بشيء من الشرف، قد تتفاوت فيه، وهذا أمر طبيعي إلا أن الغريزة التي سوف تمرُّ بها سترفع من شأن الجيد وتسد سبيل الضعيف لتدركه الجودة أو يدركها، فالمشوار واحد، غير أن النتيجة مترتبة على حسن النية والحرص على التزام السبيل الأمثل.

ولست أريد هنا أن أتحدث عن كيفية نشأة هذا الاتجاه، ولا عن واقع ما قدّم فيه من أعمال علمية وإبداعية ولا عما أتوقعه له في المستقبل، وإنما هي كلمات أمهد بها بالحديث عن أحد الأعمال الجيدة التي صنعها

مختصون محسنون في هذا الاتجاه وفي سواه (الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق) للأستاذ الدكتور صابر عبد الدايم يونس وكيل كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة، وهو شاعر وباحث وله جملة من المؤلفات في فروع شتى من الأدب.

ولست أريد هنا أن أتحدث عن كيفية نشأة هذا الاتجاه، ولا عن واقع ما قدّم فيه من أعمال علمية وإبداعية ولا عما أتوقعه له في المستقبل، وإنما هي كلمات أمهد بها بالحديث عن أحد الأعمال الجيدة التي صنعها

مختصون محسنون في هذا الاتجاه وفي سواه (الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق) للأستاذ الدكتور صابر عبد الدايم يونس وكيل كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة، وهو شاعر وباحث وله جملة من المؤلفات في فروع شتى من الأدب.

ولست أريد هنا أن أتحدث عن كيفية نشأة هذا الاتجاه، ولا عن واقع ما قدّم فيه من أعمال علمية وإبداعية ولا عما أتوقعه له في المستقبل، وإنما هي كلمات أمهد بها بالحديث عن أحد الأعمال الجيدة التي صنعها

مختصون محسنون في هذا الاتجاه وفي سواه (الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق) للأستاذ الدكتور صابر عبد الدايم يونس وكيل كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة، وهو شاعر وباحث وله جملة من المؤلفات في فروع شتى من الأدب.

ولست أريد هنا أن أتحدث عن كيفية نشأة هذا الاتجاه، ولا عن واقع ما قدّم فيه من أعمال علمية وإبداعية ولا عما أتوقعه له في المستقبل، وإنما هي كلمات أمهد بها بالحديث عن أحد الأعمال الجيدة التي صنعها

مختصون محسنون في هذا الاتجاه وفي سواه (الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق) للأستاذ الدكتور صابر عبد الدايم يونس وكيل كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة، وهو شاعر وباحث وله جملة من المؤلفات في فروع شتى من الأدب.

ولست أريد هنا أن أتحدث عن كيفية نشأة هذا الاتجاه، ولا عن واقع ما قدّم فيه من أعمال علمية وإبداعية ولا عما أتوقعه له في المستقبل، وإنما هي كلمات أمهد بها بالحديث عن أحد الأعمال الجيدة التي صنعها

مختصون محسنون في هذا الاتجاه وفي سواه (الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق) للأستاذ الدكتور صابر عبد الدايم يونس وكيل كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة، وهو شاعر وباحث وله جملة من المؤلفات في فروع شتى من الأدب.

جهود فكرية:

والمؤلف الفاضل ساير ظاهراً هذه الفكرة لينتقل بعد ذلك إلى بسط الحديث عن كتاب سيد قطب رحمه الله، ومناقشة بعض آرائه مناقشة تدل على وعي كامل لقول الأستاذ رحمه الله، ولذا فهو لم ينطلق منه منطلقاً خاطئاً كفعل أولئك الذين فهموا عن الأستاذ سيد قطب أن يتنقص فكر السالفين وأدبهم فساقهم هذا الفهم إلى نفي وجود أدب إسلامي قبل هذا العصر إلا ما كان عند جلال الدين الرومي وأمثاله من متطرفي الصوفية؛ وإنما كان عمل الدكتور صابر مؤلف هذا الكتاب عمل الرجل الداعي الذي استوعب قول الأستاذ سيد قطب ولم ين منه ذلك التعميم فعلق على أقواله عن الفلاسفة والمتكلمين بقوله: (وفي الحقيقة إننا لا نستطيع أن نلغي كل هذه الجهود الفكرية لعلماء الإسلام، فهم لم يكونوا نسخاً مشوهة من فلاسفة الأغريق وإنما وجدناهم يصفون ما يترجمونه ويحاولون الانتفاع بما يجادونه نافعاً في مجالات التفكير، فقد وقف علماء الإسلام في وجه الملاحدة والزنادقة، وأتباع «مزدك» و«مان» و«زرادشت» وناظروهم وأفحموه، ففكرهم برغم ما شابه من تأثر بالفلسفات الأخرى كان صورة لمقومات الشخصية الإسلامية ومكونات التصور الإسلامي) وإذا كان الدكتور صابر قد نفى أن تكون الفلسفة العربية صورة للفلسفة اليونانية فإن أيضاً ينفي تأثر الأدب العربي بالأدب الوثنية القديمة عند اليونانيين وغيرهم فيقول: (وفي المجال الأدبي لم يقلد النقاد والشعراء الأدب الإغريقي، الوثني؛ لأنه لم يترجم لهم كاملاً، وكذلك لا يتوافق هذا الأدب بما يحوي من تصور أسطوري، ورؤية وثنية مع وجدان الشاعر المسلم. وفي تعليق ثالث بدأ الدكتور صابر عبد الدايم وقد فهم أن سيد قطب يرى عزل التراث من التصور الإسلامي ولذا قال: (لا نستطيع أن نتوافق مع الكاتب في عزل التراث جملة عن التصور الإسلامي؛ لأن التأثير سمة كل حضارة زاهية مثيرة. والحضارة الإسلامية لها سماتها المميزة في الفكر والأدب والعمارة والفنون، وقد أثرت في ازدهار الحضارات الأوربية في العصر الحديث) وهذه مسألة فيها نظر إذ قد تدفع الحماسة الكاتب إلى إطلاق بعض الأحكام الموهمة وهذا ما أحسبه واقعاً لسيد قطب إذ لا يتصور أن الرجل - وهو على ما هو عليه - ينفي التراث ويعزله عن التصور الإسلامي.

مبالغة... أم ماذا؟

ربما دفعه ضغط الواقع الذي كان يعيشه إلى نوع من المبالغة وهذا هو ما جعل الآخرين يفهمون عنه هذا الفهم ثم ينطلقون - مخطئين - من هذا الفهم الخاطئ الذي لم يرصه أديبنا الفاضل صابر عبد الدايم بل نفى أن يكون التراث العربي في معزل عن الفكر الإسلامي النقي والتصور الإسلامي الصحيح، وقوله هذا صحيح جداً، وكون التعبير يخون الأستاذ سيد قطب رحمه الله، أو كونه ينطلق في بعض أقواله من فهم غير دقيق لا ينقص من شأنه ولا يسي إلى فكره القويم، وما من أحد إلا وفي قوله ما يؤخذ وما يرد خلا محمد عليه الصلاة والسلام وعلى هذا النحو تتصل مناقشة الدكتور صابر عبد الدايم بأقوال الأستاذ سيد قطب رحمه الله مبيناً أنه مثلما رفض مظاهر الانحراف في الفكر العربي القديم رفض كذلك الاتجاهات الفكرية الغربية معللاً لذلك الرفض بكون مستمداته وثنية قديمة وانحرافات كنسبة وضلالات مذهبية.

ونتقل مع الدكتور صابر عبد الدايم إلى الموضوع الثاني في كتابه وهو أبعاد الرؤية الإسلامية في الشعر المعاصر وخلاصته من قوله (والأدب في

ظل التصور الإسلامي يستطيع أن يعبر عن أدق الانفعالات، وأرق العواطف، وأنبأ المشاعر وأسماءها، في إطار النفس السوية التي نجت من أمراض النفسيين والاقتصاديين والوجوديين).

أما ثالث موضوعات القسم الأول من هذا الكتاب فهو (يا أدباء الإسلام انتبهوا: هذه هي ملامح الواقعية المحزنة) والمؤلف في هذا الموضوع يتنبه إلى خطورة تقليد المذاهب الغربية فيما ضل فيه أربابها مبيناً فساد تلك المذاهب عن طريق إيضاح حال الواقعية الغربية، وحال الذين أقبلوا على تقليدها وأحسب العبارتين الآتيتين منطلقاً لكل ما تحدث به المؤلف في هذا الموضوع، والعبارتان هما قوله (الواقعية التي تشربوها من غير أن يدركوا عناصرها... ترى الحياة من خلال منظار أسود، وترى أن بذرة الحياة تكونت في حقل الشرور... وأنبأت شجر اليأس، وثمارها القلق والخوف والفرغ، والتمزق النفسي وفقدان الثقة في الحياة وفي الأحياء، وسيان في هذا المنظور للحياة - على خلاف في التصور والأداة والنتيجة - الواقعية الأوربية والواقعية الاشتراكية، والطبيعية والوجودية)... (فإذا بهم يهربون من تقليد التراث العربي إلى تقليد الواقع الغربي... وكانت عاقبة هذا التقليد أن رأيناهم يصطنعون في أدبهم «شعراً ونثراً» صوراً لا تمت بصلة إلى أعرافنا الأدبية، وتقاليدنا الإسلامية... ومنظور ديننا الحنيف إلى واقع الحياة).

إعجاز وإيجاز:

وفي القسم الثاني من هذا الكتاب تحدث عن ثلاثة موضوعات كما أسلفنا، كان أولها الحديث عن خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع وما فيها من إعجاز وإيجاز وبلاغة وبيان وجوامع للكلم وخلاصات للأحكام فهي مثل يحتذى في كل زمان، وهي منهج سام جمع كثيراً من منطلقات الأحكام وأسماها، أما الموضوع الثاني فحديث عن المعارضة وبخاصة ما جرى بين حسان بن ثابت رضي الله عنه وابن الزبيري وهي أحداث طيبة أراد بها التذكير أولاً بقوة شعر صدر الإسلام، ولانينا التذليل على تفاعل شعراء الصحابة رضوان الله عنهم مع الإسلام وهذا ما نفاه عماد الدين خليل في كتابه (محاولات جديدة في النقد الإسلامي) وقد ناقشنا أقوال الرجل في مقام آخر نأفين دعواه بعدم تفاعل شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي شعورياً مع الدين الجديد، الإسلام.

أما آخر موضوع عالجه المؤلف فشعر السنهوتي والواقع أنني لست بقريب العهد بأعمال السنهوتي، ولذا قد لا يكون حديثي عنها كافياً لتأييد المؤلف الفاضل أو سحب التأييد منه غير أنه بعدما أورد هذه الآيات للسنهوتي:

يا هذه الدنيا اسمعي وتجمعي هذا السواء محمد فتسلمي وامضي بعزم مضائه واقضي بعذل قضائه، وهدي الكتاب المحكم ضمي وجودك نحتنه، صُنِّي جنودك حوله، إن شئت أن تقدمي واستمسكي بسبيله إن شئت ألا تخطئي، أو رميت الا نأتمني

قال معلقاً عليها: (فهذه الآيات الأربعة، ورد فعل الأمر فيها ثماني ممرات واعتقد أن العقيدة ليست أمراً سهلاً بل لبها الإقناع والافتناع، بعد عرضها عرضاً فنياً لا يجوز على التجربة الشعرية).

والعرض الذي يستحسنه متوافر في الآيات وإن جاء في صيغة الأمر. ثم إن صيغ الأمر في هذه الآيات هي شارة تفاعل عميق إلى كونه موحياً للآخرين بأن هذا الذي يأمر به نفسه هو من أفضل ما يجب أن تأخذه النفس... وإذا كنا نرى أن صديقنا الحبيب قد أخذ في هذا القول فإن إحسانه كثير جداً وبنا نخلقه فيه نادر جداً، وهو عندي من أكثر كتاب الأدب الإسلامي اعتدالاً وتحزناً للمنهج الأصوب وفي كل خير إن شاء الله.

هذه وقفة مع الصديق الزميل الدكتور صابر عبد الدايم لا أقول إنه أعطت صورة عن هذا العمل الجيد الذي قدّمه في هذا الكتاب ولكني أدكر فيها به، وسبحد القارئ في هذا الكتاب كثيراً مما يتطالع